الصاعقة الخامسة عشرة: لا يُحزنِ اللهُ الأميرَ فإنني(*)

لا يُحـزنُ اللهُ الأمـيـرَ فـإنّني ... لآخـذُ منْ حـالاتِه بنصـيبِ
ومنْ سَـرّ أهلَ الأرضِ ثم بكى أسى ... بكى بعـيـونٍ سـرّها وقلوبِ
وإنّي وإن كـانَ الدّفينُ حَـبـيـبَـهُ ... حبيبٌ إلى قلبي حبيبُ حبيبي
وقـدْ فـارَقَ الناسَ الأحِـبـةُ قَـبلَنا ... وأعـيـا دواءُ الموتِ كلَّ طبـيبِ
سُبِـقْنا إلى الدنيا فلوْ عاشَ أهلُها ... منعْنا بهـا من جـيـئـةٍ وذهُوبِ
تمـلّكَهـا الآتي تملُّكَ سـالـبٍ ... وفـارقَـهـا الماضي فـراقَ سليبِ
ولا فضلَ فيها للشجاعَةِ والنّدى ... وصبرِ الفتى لولا لقاءُ شعوبِ(١)
وأوفَى حـيـاةِ الغـابرينَ لصاحبٍ ... حـيـاةُ امرئٍ خانتْه بعدَ مشيبِ
لأبقى يماكٌ في حَـشـايَ صـبـابةً ... إلى كلِّ تركيِّ النّجـارِ جَليبِ(٢)
ومـا كُلُّ وجـهٍ أبيضٍ بمبـارَكٍ ... ولا كلُّ جـفنٍ ضـيِّقٍ بنجـيبِ
لئنْ ظَهَـرتْ فـينا عليـه كـآبةٌ ... لقـد ظهـرتْ في حدّ كل قضـيبِ
وفي كُلِّ قـوسٍ كلَّ يومٍ تناضُل ... وفي كلِّ طرفٍ كلَّ يومٍ ركـوبِ
يَعِـزُّ عليـهِ أن يُخِلَّ بِعـادةٍ ... وتدعـو لأمـر وهو غـيـرُ مُجيبِ

(*) مناسبة القصيدة: يعزي سيف الدولة بوفاة أحد عبيده، سنة ٣٤هـ.
(١) شعوب: اسم للموت.
(٢) النجار: الأصل. الجليب: المجلوب.

وكنتُ إذا أبصَرتُهُ لكَ قائمًا ... نظرتُ إلى ذي لبدتينِ أديبِ[١]

فإنْ يَكُنِ العلقَ النفيسَ فقدتَهُ ... فمنْ كفِّ متلافٍ أغرّ وهُوبِ[٢]

كأنَّ الرَّدى عادٍ على كُلِّ ماجدٍ ... إذا لم يُعَوَّذْ مجدهُ بعُيُوبِ[٣]

ولَولا أيادي الدهرِ في الجمعِ بَينَنا ... غفلْنا فلمْ نشعرْ له بذنوبِ

وللتَّركُ للإحسانِ خيرٌ لمحسنٍ ... إذا جعلَ الإحسانَ غيرَ ربيبِ[٤]

وإنَّ الذي أمستْ نزارٌ عَبيدَهُ ... غنيٌّ عن استعباده لغريبِ

كَفى بصَفاءِ الوُدِّ رقًّا لمثلهِ ... وبالقربِ منهُ مَفْخراً للبيبِ

فَعُوِّضَ سيفُ الدولة الأجرَ إنّهُ ... أجلُّ مثابٍ من أجلِّ مثيبِ[٥]

فتى الخيلِ قد بلَّ النجيعُ نحورَها ... يُطاعنُ في ضنْكِ المقامِ عصيبِ[٦]

يعافُ خيامَ الرَّيطِ في غَزواتهِ ... فما خيمُهُ إلا غُبارُ حُرُوبِ

عَلينا لكَ الإسعادُ إن كانَ نافعًا ... بشقّ قلوبٍ لا بشقّ جيوبِ[٧]

فَربّ كثيبٍ ليس تَندى جُفُونُهُ ... وربّ نَديّ الجَفنِ غَيرُ كَئيبِ

تسلّ بفكرٍ في أبيك فإنما ... بَكَيتَ فكانَ الضّحكُ بعدَ قريبِ

---

(١) ذو اللبدتين: الأسد. واللبدة: الشعر المتراكب على الكتف.
(٢) العلق: النفيس. المتلاف: الذي يتلف أمواله جودًا. الأغر: الشريف.
(٣) عاد: اعتدى.
(٤) الربيب: التام.
(٥) المثَاب: المجازى. الشيب: المجازي.
(٦) النجيع: الدم. الضنك: الضيق. العصيب: الشديد.
(٧) الإسعاد: الإعانة.

إذا استقبلتْ نفسُ الكريم مصابها ... بخُبثٍ ثنت فاستَدبَرَتهُ بطيبِ[١]

وللواجدِ المكروبِ من زفراته ... سكونُ عزاءٍ أو سُكونُ لُغُوبِ[٢]

وكمْ لكَ جداً لم ترَ العينُ وجههُ ... فلم تجرِ في آثارِه بغُروبِ[٣]

فدتْك نفوسُ الحاسدينَ فإنها ... معذبةٌ في حضرةٍ ومَغيبِ

وفي تعبٍ من يحسدُ الشمسَ نورَها ... ويَجهَدُ أن يأتيَ لَها بضَريبِ[٤]

(١) الخبث: الكره. شنت: رجعت.
(٢) الواجد: الحزين. اللغوب: الإعياء.
(٣) غروب: جمع غرب وهو الدمع.
(٤) الضريب: النظير.

obeikandl.com